مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (18) العدد (11) 1996
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research – Arts and Humanities Series Vol. (18) No (11) 1996

أبو الخطاب البهدلي
حياته وشعره
(من شعراء القرن الثاني الهجري)

الدكتور رشـــدي علـــي حســـن*

□ الملخّص □

أبو الخطاب البهدلي شاعر عبّاسي، عاش في القرن الثاني المهجري. ويدرس هذا البحـــث الشـــاعر وشعره، فيتناول اسمه وكنيته ولقبه ونسبه ومولده ووفاته، وعلاقاته الاجتماعية، وموضوعات شعره، ويبـــين مصادر المتعددة، ويعرض منهج التحقيق في جميع هذا الشعر.

ويُعدُّ جمعُ شِعْرِه وتحقيقهُ ودراسةُ موضوعات شعره والوقوفُ عند خصائصه الفنيّة من المسائل التي اعتنـــى بها البحث، إذ يجمع الشعر ويحققه ويخرّجه، ويقابل بين رواياته، ويعرّف بالأعلام الواردة فيه ويفسّر الغريب من ألفاظه، ويشرح ما يحتاجه إلى شرح، ويضعُ بين يدي الشعر دراسة تضم موضوعات شعره وأداءَه الفني.

* جامعة مؤتة – الأردن.

مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية – سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (18) العدد (11) 1996
Tishreen University Journal for Studies and Scientific Research – Arts and Humanities Series Vol. (18) No (11) 1996

Abou Alkhattab Al-Bahdali (His Life and Poetry)

Dr. Rushedy Ali HASSAN*

❐ ABSTRACT ❐

Abu-Al Khatab Al-Bahdali is an Abbassid poet who lived in the second century (Hijra). The article deals with the poet's life and his poetry: his name, his last name, his tribe, his birth and death.

The paper also deals with his social relations, the themes of his poetry, and discusses the different sources of his poetry, and also deals with the textual approach in collecting that poetry.

The paper deals with the way the poetry was collected, edited, and its distinctive artistic characteristics. The paper clarifies the different versions of the poetry, and explains the proper names, and glosses the vocabulary and claifies aspects of that poetry which are essential for a proper understanding of the poet.

* Muaata University, Jordan.

المقدمة:

أبو الخطاب البهدلي شاعر راجز من رجّاز العصر العبّاسي الأول. ظهرت شاعريته في عهد الخليفة موسى الهادي. ولم يحظ بدراسة علميّة قبل هذه الدراسة.

وتكمن أهمية هذا البحث في أنّه يضيف إلى الدراسات الأدبيّة في الشعر العربي دراسة شاعر مغمور من شعراء القرن الثاني الهجري، يمثّل مرحلة المحافظة على الموروث من التقاليد الفنيّة. وربطه بالجديد من الحضارة العبّاسيّة.

ويدرس البحث الشاعر وشعره؛ إذ يعرض حياة الشاعر من جوانبها المختلفة؛ اسمه وكنيته ونسبته، ومولده ووفاته، وعلاقاته الاجتماعية، ويبيّن بعض ملامح شخصيته ومقوماتها الأساسيّة، ويناقش موضوعات شعره، ويبحث عن خصائصه الفنيّة من خلال شعره ومن خلال آراء النقّاد فيه. ثم يجمع الشعر ويحققه وفق منهج علمي معتمد على التخريج ومقابلة الروايات ووضع الشروح.

وقد تناثر شعر أبو الخطاب وأخباره في الكتب القديمة؛ فقام هذا البحث بمهمة جمعه ودراسته. ومن أهم هذه الكتب طبقات الشعراء لابن المعتز، ومجالس ثعلب، والورقة لابن الجرّاح، والتحف والهدايا للخالديّين.

أبو الخطاب البهدلي

حياته:

1- اسمه وكنيته ولقبه ونسبته:

اسمه بن عامر البهدلي التميمي[1]، وفي رواية ثانية عمرو بن عامر[2]، وفي رواية أخرى عمر بن عيسى[3]، وهو من بني بَهْدَلَة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد بن مناة من تميم[4]، ولذلك يُعرف بالبهدلي والسعدي والتميمي[5]نسبة إلى أجداده بَهْدَلَة وسعد وتميم، وهي أنساب صحيحة لا يحيط بها الشك، أما القفطي فقد نسبه في إنباه الرواة إلى هذيل، وقال: أبو الخطاب الهذلي[6]وهو خطأ، ولعله من باب التصحيف وأخطاء النُسّاخ؛ لأن كلمة الهذلي قريبة في رسمها من كلمة البهدلي.

ويُكَنّى أبا الخطاب[7]ويلقب بابن الأشد أحياناً[8]، وبأبي الأسد أحياناً أخرى[1]، ولعلّ هذا اللقب مستمد من رائيته المشهورة في مدح الخليفة موسى الهادي إذ لقبه حينئذٍ بنسابة الأسد[2]. ومطلعها:

---

[1] ينظر: الورقة لابن الجراح ص64، وبدائع البدائة لابن ظافر الأزدي، ص288.

[2] ينظر: الفهرست ص52، وجمع الجواهر للحصري ص5، وإنباه الرواة للقفطي، ص119.

[3] مجالس ثعلب، ص161.

[4] جمهرة أنساي العرب لابن حزم ص218، وجاء في العقد الفريد ج2 ص194: "قال أبو عبيدة: اجتمعت وفود العرب عند النعمان بن المنذر؛ فأخرج إليهم بُرْدَى مُحَرّق، وقال: ليقم أعزّ العرب قبيلة فَلْيَلْبسلما، فقام عامر بن أُحَيْمر السَّعْدي، فأتزر بأحدهما، وارتدى بالآخر؛ فقال له النعمان: بمَ أنتَ أعزّ العرب؟ قال: العزّ والعدد من العرب في مَعَدّ، ثم في نزار، ثم في تميم، ثم في سعد، ثم في كعب، ثم في عوف، ثم في بَهْدَلة، فمن أنكر هذا من العرب فليُنَافرْني؛ فسكت النّاس.

[5] ينظر: الورقة ص64، وطبقات الشعراء ص132، وجمع الجواهر ص5، والعمدة ج1 ص190، وبدائع البدائة ص288.

[6] إنباه الرواة للقفطي ج4 ص119.

[7] ينظر: الورقة ص64، وطبقات الشعراء ص132، والفهرست ص52، وبدائع البدائة ص288.

[8] بدائع البدائة ص288.

مـــاذا يهيجُـــكَ مـــن دارٍ بمحنيـــةٍ كـــالبُرْدِ غيَّـــر منهـــا الجِـــدَّةَ العُصُـــرُ

2- مولده ووفاته:

لم تذكر المصادر التي ترجمت لأبي الخطاب البهدلي شيئاً عن مولده، أو عن وفاته، ولم تحدّد سـنةً أو فترة زمنيةً لهما. ولكن الأمر الذي لا يكتنفه الغموض هو أنّ أبا الخطاب شاعر بصري، عاش في العصر العبّاسي في القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث الهجري، وعاصر الخلفاء آنذاك وبخاصة موسى الهادي وهارون الرشيد، وهو ما أشارت إليه بعض المصادر؛ فقد ذكر ثعلب في مجالسه أنّ أبا الخطاب كـان فـي عصر هارون الرشيد[3]، وروى ابن المعتز في طبقاته رائية الشاعر المشهورة في الخليفـة موسـى الهـادي، ودالّيته في مدح الفضل بن يحي بن خالد[4]. وأثبت له محمد بن داود بن الجراح في ورقته أرجوزة الحسن بـن سهل[5]. وإذا ما علمنا أن الخليفة موسى الهادي قد ولي الخلافة سنة 169 هـ ثم وليها بعـده أخـوه هـارون الرشيد من سنة 170 هـ إلى سنة 193 هـ، وأنّ الفضل بن يحيى نكب مع أهله البرامكة في سنة 187 هـ، ثم توفي في سنة 193 هـ، وهي السنة نفسها التي مات فيها هارون الرشيد، وأنّ الحسن بن سهل عُيّن وزيراً للمأمون ثم ترك الوزارة في خلافته سنه 204 هـ - وكان أحد كبار قادته وولاته، وأنّه توفي في سـنة 236 هـ أدركنا أنّ أبا الخطاب البهدلي كان شاعراً معروفاً، اكتملت شاعريته في عهد الخليفة موسى الهادي، وأنه أدرك خلافة المأمون كلّلها تقريباً.

وأمّا شعره، فإنه يكشف أمراً آخر لم تكشفه المصادر، وهو انّ أبا الخطاب كان من المعمَّرين، فقـد أشار في أرجوزته اللاميّة إلى أنّه عُمّر طويلاً، في قوله:[6]

وصـــرتُ كالنَّســـرِ الـــذي قيـــل انتَقَـــلْ ومـــاتَ أخْـــدَاني الأُلـــى كنـــتُ أصِـــلْ

وامَّـــارَ عنـــه ريشُـــه فقـــد نَسَـــلْ فقـــال أفْنَـــى لُبـــدَاً حتـــى حَجَـــلْ

أمـــا تَـــزَيْنَ البهـــدلي قـــد نَحَـــلْ لـــم يُطِـــقِ النَّســـرَ الـــدهارير الأُوَلْ

علـــى ثـــلاثِ أرْجُـــلٍ فيهـــا عَصَـــلْ وصـــارَ يمشـــي مِشْـــيَةً فيهـــا خَطَـــلْ

كســـرْطانِ البحـــرِ يمشـــي فـــي الوَحَـــلْ واحـــدةٌ فـــي كفّـــهِ مـــن الأسَـــلْ

وصرّح في أروجزته العينية إلى أنّه بلغ الرابع والتسعين من عمره، وعُمّر كثيـراً كمـا عمّـرَ الأصـمعي المعاصر له، فنراه يقول:[7]

---

[1] ينظر: طبقات الشعراء ص132، والعمدة ج1 ص190.

[2] ينظر: الخبر والقصيدة في طبقات الشعراء ص132 وما بعدها.

[3] مجالس ثعلب ص161.

[4] طبقات الشعراء ص132 وص135.

[5] الورقة ص66.

[6] القصيدة رقم 7 في هذا البحث.

[7] القصيدة رقم 5 في هذا البحث.

أنحَنِـــي كـــرُّ اللّيـــالي الرُّجَّـــعِ تســـعين قَـــد وَصَـــلْتُها بـــأربَعِ

إنّـــي لـــو عُمِّـــرتُ عُمْـــرَ الأصْـــمَعِي وَعُمْـــر لقمـــانَ وعُمْـــرَ تُبَّـــعِ

ونَسْـــر لُقمـــانَ الهِجـــفِّ الأقْـــرَعِ

ولعل الإشارات التي أوردتها المصادر، والتصريحات التي حملها شعره، وبخاصة أراجيزه، تقود إلى الأمـور التاليّة:

- أن الشاعر عُمِّر طويلاً.
- أنّه عاش (94) أربعة وتسعين عاماً.
- أنه عاصر الأصمعي المتوفى سنة 216 هـ، وأنه توفى بعده.
- أنّه عاش معظم حياته في القرن الثاني الهجري، واتصل بخلفائه، ووزرائهم وقادتهم.

إذن، فتحديد الفترة الزمنية الواقعة بين سنة 125 هـ و130 هـ تاريخاً لمولده. والفترة الزمنية الواقعة بـين سنة 220 هـ و225 هـ تاريخاً لوفاته أمر لا يحوم حوله شك ولا يكتنفه غموض.

3- ملامح من شخصيته:

يمكن التعرف على شخصية الشاعر ومقوماتها الأساسيّة من خلال الوقوف عنـد أقـوال القـدماء، واستشارة شعره. فقد ذكر ابن الجراح في الورقة، وابن النديم في الفهرست، والقفطي في إنباه الرواة، أنّ أبـا الخطاب كان فصيحاً راجزاً[1]. وقال عنه ابن المعتز في طبقاته[2]: إنه أحد العرجان، وأضـاف أنَّ معاصـريه زعموا أنّه بلغ من معرته، وخوف الناس بادرة لسانه، أن يبعث إلى الأبواب في حوائجه، فلا تحجب العصـا عن أحد، ولا ينهنه حتى تُقْضى حوائجه.

ولعلّ هذه الأقوال تشير إلى بعض ملامح شخصيته وهي: أنّه شاعر فصيح بليغ راجز، وأنّه أحد العرجـان، وأنه هَجاء خبيث اللسان.

وأمّا شعره فإنه يرسم بعض ملامح هذه الشخصية، ويتفق ما أورده القدماء في أقوالهم عن شخصيته مع ما نظمه من شعر، فقد نظم كثيراً في الرجز، وسخر في أرجوزته الفائية من رجل من أهل البصرة أهداه خروفاً مهزولاً، وأشار إشارة واضحة إلى عرجه، وأن مصدره عرق النّسا، على نحو ما نرى في قوله:[3]

قُلْـــتُ لرجلـــي وهْـــيَ عَرْجَـــاءُ الخُطَـــا تَشْـــكُو إلـــيَّ وَجَعَـــاً مِـــنَ النَّسَـــا

وقوله:[4]

أمـــا تَـــرَيْنَ البَهْـــدَليَّ قَـــد نَحَـــلْ وصـــارَ يمشـــي مَشْـــيَةً فيهـــا خَطَـــلْ

علـــى ثَـــلاثِ أرْجُـــلٍ فيهـــا عَصَـــلْ واحـــدةٌ فـــي كِفّـــهِ مِـــنَ الأســـلْ

---

[1] الورقة ص64، والفهرست ص49، وإنباه الرواة ج4 ص119.

[2] طبقات الشعراء ص135.

[3] القصيدة رقم1 في هذا البحث.

[4] القصيدة رقم7 في هذا البحث.

وكشف شعره كذلك عن ملامح أخرى من شخصيته، منها أنه رجل يؤمن بقضاء الله وقدره، ويقرّ بحتمية الأجل، على نحو ما نرى في قوله:[1]

وَحَقِّ مـا أَلْقِـي إليـك فاسْـمَعِي ... إنّـي لـو عُمِّـرتُ عُمْـرَ الأصْـمَعِي

وَعُمْـر لقمـانَ وعُمْـرَ تُبَّـعِ ... ونَسْـر لُقْمـانَ الهجـفِّ الأقْـرَعِ

مـا كـانَ بُـدّ مِـنَ تَبَـوّي مَضْـجَعِي ... فـي عَـرْضِ شـبرينِ وخَمْسـين أذْرُعِ

فـي مَضْـجَعٍ سـاكِنُه لـم يَهْجَـعِ

4- علاقاته الاجتماعية:

يشير ما وصل إلينا من أخباره في كتب القدماء، أن اتصالاته بأهل الحكم والسلطان تكاد تنحصر بالخليفة موسى الهادي، والوزير البرمكي الفضل بن يحيى، والوزير الحسن بن سهل. فقد رُوي أنه مدح الخليفة موسى الهادي بقصيدته الرائيّة، ومطلعها:

مـاذا يهيجُـكَ مِـنْ دارٍ بمحنيـةٍ ... كـالبُرْدِ غيَّـر منهـا الجِـدَّةَ العُصُـرُ

وكانت هذه القصيدة سبباً في أن يأمر الهادي ألاّ يُحجب عنه شاعر، وأنّ يُعلم الشعراء أنّ الخطاب كان السبب في ذلك، وكان موسى الهادي (قبل ذلك) لا يأذن لأحدٍ من الشعراء ولا يرغب في الشعر ولا يلتفت إليه[2]

وكانت له اتصالات وثيقة بوزراء عصره، إذ كانوا يسمعون شعره ويغدقون عليه، ومن هؤلاء الوزراء يحيى بن خالد، فقد مدحه، ونال أعطياته، والحسن بن سهل وزير المأمون ووالد زوجته بوران.

وأمّا علاقاته الاجتماعية بغير أهل الحكم، فلعلّ أقوال القدماء الواردة في المسائل السابقة واللاحقة من هذا البحث تدلُّ بوضوحٍ على علاقته بالأصمعي أحد علماء عصره، وأنّه كان راجزاً راوياً، يُؤخذ عنه، ويُعدّ شعره حجة في المسائل اللغوية، فقد روى الأصمعي شعر أبي الخطاب البهدلي، وعدّ شعره حجّة يُستشهد به.

موضوعات شعره:

أشار أبي الخطاب كثيرة جداً (كما ذكر ابن المعتز في طبقاته)، وهذه الكثرة من الشعر لم تصل إلينا، فما بقي من شعره هو عمدة هذا البحث في الحديث عن الموضوعات:

وشعره جاء في مجموعتين؛ القصيد والرجز.

وأمّا القصيد، فيُعدّ المدح ووصف الفرس من أبرز موضوعاته.

وهو في مديحه يلتقي مع شعراء عصره العبّاسيين في المزاوجة بين المعاني القديمة والمعاني المستحدثة، حيث يردد ما ردّده الشعراء العرب من إشادةٍ بسجايا الكرم والشجاعة، ويضفي على ممدوحه ما أدخله الإسلام في نفوس المؤمنين من معاني الحمد والثناء، والتقوى، والتمسك بشرع الله. ويبرز ما اختص به

---

[1] القصيدة رقم5 في هذا البحث.

[2] ينظر: طبقات الشعراء ص132.

ممدوحه، من وراثة المجد والعزة والرفعة من آبائه وأجداده؛ فهم رمز أمن الأمة واستقرارها، وهم ملاذ كل ضعيف، وتصير كل مظلوم، وعدو كل ظالم، على نحو ما نرى في قوله في مدح موسى الهادي:[1]

متـــوَّجٌ بالهُـــدى، بالحمـــدِ ملتحـــفٌ — مســـربلٌ بالنَّـــدى، بالمجـــدِ متَّـــزرُ

أشـــمُّ تُنمِيـــه آبـــاءٌ جَحاجِحَـــةٌ — شمُّ الأنـــوفِ، علـــى مـــا نـــابهم صَـــبَرُوا

لن يؤمنَ النـــاسُ مَـــنْ لـــم يؤمنـــوا أبـــداً — والله يُـــؤْمِنُ مَـــنْ آوَوْا ومَـــنْ نَصَـــرُوا

لا يكســـرُ النَّـــاسُ مـــا شـــادوا جبـــائرَه — وليس يُجْبَـــرُ طـــولَ الـــدَّهرِ مَـــنْ كســـرُوا

أنـــت الدعامـــةُ يـــا موســـى إذا احتـــدمتْ — نيرانُهـــا وحمـــاةُ الحـــربِ تَجْتَـــزِرُ

وإنْ غَضِبْتَ فَمَا فـــي النَّـــاسِ مِـــنْ بَشَـــرٍ — إلاّ علـــى خطـــرٍ مـــا مثلُـــه خَطَـــرُ

وصورة المحبوبة في شعره جزء من صورة الديار والأطلال، وهي تشبه في ملامحها تقريباً ملامح السورة التراثيّة، فهي جميلة، ناعمة، دقيقة الخصر، وهي درة غالية، نفيسة، لا تخضع لقانون البيع والشراء، ومن ذلك قوله:[2]

دارٌ لواضـــحةِ الخَـــدّيْن ناعمـــةٍ — غَرْثـــى الوشَـــاحِ لَهـــا فـــي دَلِّهـــا خَفَـــرُ

كأنَّهـــا دُرّةٌ أغلـــى التجَّـــارُ بهـــا — مكنونـــةٌ، ربحـــوا فيهـــا ومـــا خســـروا

ووصفه للحصان يرتبط عنده برحلة الصيد والطرد، وحصانه تتوافر فيه علامة النجابة الدالى علـى جودتـه، وهي العلامات نفسها التي تغنّى بها العرب في أشعارهم، وردّدوها في أقوالهم، ومن ذلك قوله:[3]

وَقـــدْ أغتـــدي قَبـــلَ ضـــوءِ الصـــباحِ — وقبـــلَ ورودِ الغَطَـــاطِ الحِشَـــاشِ

بصـــافي الـــثّلاث قصـــيرِ الـــثّلاث — طويـــلِ الـــثّلاث عـــريضِ الـــثّلاث

وأمّا الرّجز، فقد استطاع أبو الخطاب البهدلي أنْ يطوّعه ليستوعب موضوعات متعددة؛ كالمدح، ووصف النفس، وأعضاءِ الجسم، وبكاء الشباب، والدعاية.

فمن أراجيزه في المدح قوله في الحسن بن سهل:[4]

قَمَعْـــتَ كـــلَ ناكـــثٍ مَفْتـــونِ — بالصَّـــلْحِ لمّـــا صِـــرْتَ كـــالبَنَيْنِ

جَمْـــعَ علـــيٍّ لِعِـــدَا صِـــفّيْنِ

ومن الصور الطريفة التي استوعبها الرجز، وصفه لنفسه وروح الدعابة التي بثّها في أراجيزه، وبخاصة في تندّره على نفسه، ووصف شيخوخته، ومن ذلك قوله:[5]

---

[1] القصيدة رقم 4 في هذا البحث.

[2] القطعة رقم 4 في البحث.

[3] القطعة رقم 2 في البحث.

[4] القطعة رقم 9 في البحث.

[5] القطعة رقم 7 في البحث.

أمـــا تَـــرَيْنَ البَهْـــدَلِيَّ قـــد نَحَـــلْ ... وصـــارَ يمشـــي مِشْـــيَةً فيهـــا خَطَـــلْ

علـــى ثَـــلاثِ أرْجُـــلٍ فيهـــا عَصَـــلْ ... واحـــدةٌ فـــي كَفِّـــهِ مِـــنَ الأسَـــلْ

كسَـــرْطَانِ البَحْـــرِ يَمْشِـــي فـــي الوَحَـــلْ

وقوله وقد أشاع الفكاهة والمرح في حديثه مع رجله، ومناجاته إيّاها، وتضايقه من لجوئها إلى العرج:[1]

قُلْـــتُ لرجلـــي ومَـــيَ عَرْجَـــاءُ الخُطَـــا ... تَشْـــكُو إلـــيَّ وَجَعَـــاً مِـــنَ النَّسَـــا

أوْ مَـــنْ أذى الـــرِّيحِ ففـــي الـــرِّيح الأذَى ... مَـــوتِي وَهَنيهاتَـــكِ مِـــن أخْـــذِ العَصَـــا

وَمِـــنْ تَرَجِّيـــكَ الـــذي لا يُرْتَجَـــى ... أتَفْضَـــحِينِي بَـــيْنَ حُـــورٍ كالمَهَـــا

منزلته الفنيّة وآراء النقّاد فيه:

عدّ بعض العلماء والأدباء القدماء أبا الخطاب البهدلي واحداً من الفصحاء المشهورين، وأشادوا بـــه، واستحسنوا شعره؛ فقد ذكر محمد بن داود في ورقته، أنه فصيح، متقدم، كان الأصمعي يتخذه حجة، ويـــروي شعره[2]، ونوّه ابن النديم في الفهرست بمكانته، فجعله من فصحاء، راوية، أخذ عنه الأصمعي، وجعله حجـــةً وروى شعره[3]. أمّا ابن المعتز فقد رأى في طبقاته أنّه مقتدر على الكلام، ومعاني المتقدمين، ووصف أشعاره بأنها جيدة[4]. وجعله القفطي في إنباه الرواة من النحاة وعلماء اللغة اللائي يروي عـــنهم، ويعتـــدّ بشـــعرهم، وصنفه في مجموعة علماء اللغة المعروفين في كتابه، وذهب إلى ما ذهب إليه ابن الجراح وابن النديم من أنّ أبا الخطاب كان عربياً راجزاً، راوية أخذ عنه الأصمعي، وجعله حجة، وروى عنه الشعر[5].

وناقش اثنان من الدارسين المحدثين جانباً من جوانب حياته، ونظر كلٌ منهما فـــي بعـــض شـــعره؛ فصنفه عز الدين اسماعيل في مجموعة الشعراء العبّاسيين الذين وجدوا أنفسهم مشدودين إلى الماضي يعيشون في تراثه، أكثر مما يعيشون في حاضرهم، ويستخدمون لذلك نفس وسائل التعبير التي اســـتخدمها أســـلافهم. وجعل إلى جانب أبي الخطاب البهدلي ضمن هذه المجموعة من الشعراء محمد بن مناذر، وبكر بن النطـــاح، وعبد الملك الحارثي[6]. وسار إبراهيم النجار على منهج ابن المعتز؛ إذ جعله من فئة الشعراء العباسيين الـــذين ظهرت ثقافة البادية في شعرهم، وسلكوا مسالكها، وتزاوجت في نصوصهم خصائص الشعر الجزل بأســـاليب المولدين[7].

ولعل ما نقلته أقوال القدماء من آراء، وما وصل ألينا من شعره، يحدد ما تميز بـــه الشـــاعر مـــن خصائص فنية؛ فهو فصيح بليغ، راجز مشهور، له قدرة بارعة على النظم، ودراية باللغة ونوادرها، قصـــده العلماء؛ فعدّوا شعره، وما يرويه لهم حجة في مسائلهم اللغوية.

---

[1] القطعة رقم 1 في البحث.

[2] الورقة ص64.

[3] الفهرست ص49 وص52.

[4] طبقات الشعراء ص134.

[5] إنباه الرواة ج4 ص119.

[6] في الأدب العباسي ص324 وص326.

[7] مجمع الذاكرة ص247.

ولعل دراسة ما وصل إلينا من شعره من حيث شكل القصيدة وبناؤها، ومعاني هذا الشعر وأفكاره، ولغته وأساليبه، وأوزانه وقوافيه، تساعد في الكشف عن خصائصه الفنيّة.

1- شكل القصيدة وبناؤها:

جاء ما وصل إلينا من شعره في تسع قصائد ومقطعات موزعة على الرجز والقصيد. تقع أقصر أراجيزه في ثلاثة أبيات (أشطر)، ويقع أطولها في ثلاثة وثلاثين بيتاً (شطراً)، ويبلغ مجموع هذه الأبيات أربعة وسبعين بيتاً. ويقع أقصر قصائده ومقطعاته في بيت واحد، ويقع أطولها في ست وعشرين بيتاً، ويبلغ مجموع هذه الأبيات ثلاثة وثلاثين بيتاً.

وتُعدّ الأرجوزة والمقطعة والقصائد الطويلة من الأشكال التعبيرية التي شاعت في شعره. وقد استطاع الشاعر أن يُطوّع الأرجوزة لموضوعات الشعر المختلفة، إذْ لم تعد الأرجوزة في العصر العبّاسي تعبيراً مرتبطاً باللغة واللغويين فحسب، وإنما أصبحت عند أبي الخطاب البهدلي ومعاصريه شكلاً تعبيرياً يستوعب خلجات النفس، ومتطلبات العصر. وحافظ في الوقت نفسه على القصيدة الطويلة نمطاً تعبيرياً يستهلم بناءَه من التراث، ولذلك يُلاحظ انه يستهل قصيدته المدحيّة الطويلة بمقدمة طولية يتحدث فيها عن ديار المحبوبة التي غيرت معالمها الأيام والدهور، ومحت آثارها الرّياح الشديدة الهوجاء، وجعلت بقاياها كسطور الكتاب، ثم يذكر محبوبته، وينهج في هذا كلّه منهج القدماء في بناء قصائدهم؛ إذ ينتقل من المقدمة إلى مدح الخليفة.

2- المعاني والأفكار:

استطاع أبو الخطاب أن يزاوج في معانيه بين القديم والجديد؛ فهو في مقدماته يجنح إلى المعاني التي طرقها الشعراء في العصور السابقة؛ من وصف لتعفيه الآثار، وتشبيه لها بطور الكتاب، وتأكيد على أن الرياح هي السبب في كلّ ذلك. ومن تغزلٍ بالمحبوبة الجميلة الناعمة. وهو في مدائحه يشيد بصفات مألوفة تردّدت على ألسنة الشعراء العرب، كالكرم والشجاعة، والقوة، وعراقة الأصل، ويمزج هذه المعاني بروح دينية يستمدها من مأثوره الإسلامي، ثم يضفي عليها شيئاً من مبالغة العصر، على نحو ما نرى في قوله في مدح موسى الهادي:

بيالغٍ عُشْر عُشْر من شجاعته ... إذا تنازلت البطال واشتجَرُوا

بل أنتَ أجْرأ منه في تقدّمه ... وأنتَ أقدَمُ منه حينَ يَجْتَسِرُ

وهو في وصفه بغمس ريشته في ألوان الشعراء العرب القدماء ليرسم لوحاته العبّاسيّة، ويجعل أراجيزه تحمل هذه الألوان التقليديّة ممزوجة بألوان عصره المستحدثة المعبّرة عن واقع الحياة اليومية، وهمومها، وأفراحها، وطرائفها.

3- اللغة والأسلوب:

ظهر الأسلوب التقليدي في قصيدته المدحية، إذ اختار الألفاظ القويّة الفخمة، الدّالة على الأطلال، وحشَد كثيراً من هذه الألفاظ التقليدية الغريبة عن عصره، ووضع معجماً لغوياً في ثمانية أبيات عن أوصاف الأسد، واستعان بأسلوب جزل رصين غريب عن عصره، على نحو ما نرى في قوله:

عَفَـــتْ معارفهـــا ريـــحٌ تنسِّـــفُها حتـــى كـــأنّ بقابـــا رَســـمها سُـــطُرُ

وقوله:

غَضَـــنفَرٌ غَضِـــفٌ قَرْضـــابَةٌ ثَقِـــفٌ مُسْـــتَرعِبٌ لقلـــوب النّـــاس مُصْـــطبِرُ

فهو يعمد عمداً إلى ألفاظ غريبة يحشو بها وصفه من نحو غَضَنفَرٌ، وغَضِفٌ، وقَرْضابَةٌ؛ ولعله بقدم للغويين مادة طريفة يعتمد على الألفاظ غير المألوفة في اللسان العربي.

وسادت بعض أشعاره، وبخاصة أراجيزه، قيم عصره الفنيّة بما فيها سهولةٍ في اللفظ، وبساطةٍ في الأسـلوب، يفهمه الإنسان العادي، وحوارٍ عفوي يتخذه أسلوباً تعبيرياً، على نحو ما نرى في قوله:

قُلـتُ لرجلـي ومـي عرجـاء الخُطَـا تشـكو إلـيّ وجعـاً مـن النَّسَـا

أو مـن أذى الـريح ففـي الـريح الأذى مـوتي وهيهاتـك مـن أخـذ العصـا

فلغته هنا تقترب من لغة الحديث اليومي، بل إنّها ترق وتلين، وبخاصة في وصفه حاله واستهزائه بامرأتـه، يقول:

ونكّـس الشـيخُ قفـاه وسَـفَلْ وَضَـعُفَتْ قوتـه فقـد ذَبُـلْ

والنـاسُ قـد قـالوا عليـك بالبَصَـلْ وجـزراً نيـاً وهلْيُونـاً فَكُـلْ

والبـيض تحسـوُهُ وبـالبيض المثـلْ

والرقّة واللين والسهولة في لغته لم تؤثر على شعره، ولم تغير من طبعه؛ فقد ظلّ رصيناً، وظلت لغته عربية بدوية في معانيها وألفاظها.

4- الأوزان والقوافي:

يمكن أن نقسّم شعره إلى قسمين: الرجز، والقصيد، وقد جاء معظم شعره في بحر الرجز، وهو بحر من البحور الشعرية القديمة، استخدمه الشعراء العرب في العصر الجاهلي في التعبير عن حياتهم اليوميـة، إذْ كان الراجز يرتجل موضوعاته ارتجالاً، ثم استطاع الرجاز الإسلاميون والأمويّون أن يجعلوا من الوزن وزناً مختصاً بحفظ اللغة ومفرداتها وغريبها ونوادرها، ثم جاء الرّجاز العباسيّون، ومنهم أبو الخطـاب البهـدلي، واستطاعوا أن يطوّعوا هذا الوزن لموضوعات الشعر كلّها تقريباً. وظلّ المشطور الصورة المفضـلة لـوزن الرجز في أراجيز أبي الخطاب، واستعمل فيها صحيح العروض والضرب (مستفعلن) ومقطوعهما (فهولن).

وأما أشعاره الأخرى فقد وقع معظمها في بحر البسيط، وهو من الأوزان الأكثر شيوعاً في الشـعر العربي القديم[1]. ولعلّ استخدام هذا البحر كان استجابة لمعاني المدح التي حشدها في رائيته في مـدح موسـى الهادي.

واستخدم في قوافيه الراء، واللام، والعين، والألف، والنون، والثاء، والدّال، والميم. والـراء والـلام وأكثر الحروف شيوعاً في شعره، بل إنّ معظم رويّ شعره فيهما، ووقوعهما رويّاً كمثير شائع فـي الشـعر

[1] إبراهيم أنيس: موسيقى الشعر العربي ص191.

العربي، وتأتيان في المرتبة الأولى من حيث الشيوع[1]. ولعلّ استعمال هذه القوافي يدل على ارتباط الشاعر ارتباطاً وثيقاً بالتراث الشعري العربي.

وقوافيه مطلقة ومقيّدة؛ والمطلقة تصلح في البحور الطوال كالبحر البسيط، ونراها في معظم أشعاره، وبخاصة في رائيته المدحية. والمقيدة تصلح في البحور القصيرة والمجزوءة والمشطورة من غير اعتماد إلى مدّ قبلها، ونراها في قافية أرجوزته اللامية الطويلة، وهي من مشطور الرجز. والمقيدة يلجأ فيها الشاعر إلى الروي الساكن الذي يقطع عنده الصوت، فتزداد موسيقا شعره وضوحاً في الجرس، وجمالاً في الوقع يجعلها أشدّ وأقوى، على نحو ما نرى في قوله:

أما ترَيْن البهليَّ قد نَحَلْ *وصار يمشي مشية فيها خَطَلْ*

ولعلّ التفعيلات المتماثلة المتلاحقة (مستفعلن) في وزن بحر الرجز، والروي القريب من بعضه البعض، يوفر نغماً موسيقاً متكرراً متتابعاً، يهز المشاعر، ويحرك النفس، ويبعث فيها النشوة؛ فلا يكاد الإنسان ينتهي من بيت صغير، يقف فيه على حرف الروي، ويقطع عنده الصوت، حتى ينتهي إلى البيت التالي؛ فيلاحقه حرف آخر مماثل لسابقه وهكذا.

وإلى جانب الوزن والقافية تتبعث إيحاءات موسيقى الشعر الداخلية، التي يبثّها الشاعر في ألفاظه، وفيها يعمد إليه في شعره من محسنات الموازنة والجناس بأنواعه، والتطريز، على نحو ما نرى في قوله:

بصافي الثّلاث قصير الثّلاث *طويل الثّلاث عريض الثّلاث*

مُحَجَّلُ رِجْلَيْنِ، طلقُ اليَدَيْنِ *له غُرَّةٌ مثلُ ضَوْءِ الإراث*

وقوله:

متوَّجٌ بالهُدى، بالحمدِ ملتحف *مسربلٌ بالنَّدى، بالمجدِ متَّزرُ*

وقوله:

في خطمه خَنَسٌ، في أنفه فطسٌ *كأنّما وجهه من هضبة، حجرُ*

ففي هذه الأبيات تقسيم وموازنة؛ إذ وازن الشاعر بين شطري كلّ بيت، ووازن بين قسمي كل شطر، وهو في بعض الأبيات يجعل كل كلمة، بل كل جملة، في الشطر الاول تطلب قرينتها في الشطر الثاني، ويمنحها قافية داخلية تتكرر في قسمي كل شطر من أبياته.

ومن أمثلة الجناس ما نراه في قوله:

ومن تَرَجّيك الذي لا يُرتجَى *جَبينَ وجهٍ وَجَبيناً في القفا*

وقوله:

إذا احتَرثَ القومُ ما عندهم *فإنَّ الجيادَ تكونُ احتراثي*

وقوله:

وإنْ غَضِبْتَ فَمَا في النّاسِ مِنْ بَشَرٍ *إلّا على خطرٍ ما مثلُه خَطَرُ*

---

[1] المصدر السابق ص248.

ففي هذه الأبيات إيحاءات موسيقية تظهر في استعماله للجناس التام، في مثل (جبين، وجبينا) و (خطر، وخطر)، والاشتقاقي في مثل (ترجّيك، ويرتجى) و (احترث، واحتراثي). وتظهر الايحاءات الموسيقية كذلك فيما نراه في التطريز الذي يقع في كلمات أو جمل متساوية في الوزن، على نحو ما مرّ في الأبيات السابقة، من مثل (قصير، طويل،عريض)، ومثل (متوج بالهدى، مسربل بالندى)، وغير ذلك.

مصادر شعره:

لم يصل إلينا شعر أبي الخطاب البهدلي مجموعاً في ديوان، ولم يُشر أحدٌ إلى أنّ له ديواناً صنعه صانع في حياته، أو بعدها، إلاّ إشارة ابن النديم في كتابه الفهرست، التي عرض فيها مقادير أشعار الشعراء؛ إذْ ذكر أنّ شعر أبي الخطاب البهدلي يقع في ثلاثين ورقة، وأشار إلى أنّ الورقة سليمانية، ومقدار ما فيها عشرون سطراً[1]. وعبارة النديم توحي بأنّ أبا الخطاب البهدلي ليس من الشعراء المقلّين. ولكنني لم أعثر على هذا المقدار من الشعر في المصادر التي عدتُ إليها، ولم أهتد إلى أكثر مما اهتديت إليه في هذا البحث.

ولم يُجمع شعر أبي الخطاب البهدلي في ديوان، ولم يحقق تحقيقاً علمياً، ولعلّ هذا البحث هو المحاولة الأولى التي يجمع فيها ما وصل إلينا من شعره، ويُدرس دراسة علمية جادّة.

وقد تناثر شعره في المجاميع والمظان الأدبية واللغوية، فحُفظ ما وصل إلينا من شعره من الضياع والتبعثر. ولعلّ أهم مجموعات المصادر التي حفظت شعره هي:

– كتب التراجم والطبقات: وقد عُني بعضها بالشاعر وشعره، فذكر شيئاً من أخباره، وعدداً من قصائده وأراجيزه، وأكثرها احتفالاً بشعره طبقات الشعراء لابن المعتز، والورقة لمحمد بن داود بن الجراح.

– كتب الاختيار: ولهذه الكتب أهمية كبيرة في حفظ الشعر العربي، فهي تأتي في الرتبة الثانية بعد الدواوين الشعرية، وقد حفظت بعض هذه الكتب طائفة من شعر أبي الخطاب، ومن أكثرها احتفالاً بشعره التحف والهدايا للخالدين.

– كتب اللغة وما يلحق بها: يُعدّ كتاب مجالس ثعلب من أهم مصادر شعر أبي الخطاب البهدلي؛ إذا حفظ أرجوزته اللاميّة بكامل أبياتها. وأما نصيب شعره من اهتمام كتب اللغة الأخرى، فقد كان قليلاً، ولم يُذكر من شعره إلاّ البيت أو البيتان، وقد يرجع ذلك إلى أن شعره قيل في عصر لا يصح الاستشهاد بشعره، ولكن اللغويين استشهدوا في كتبهم بشيء من شعره؛ لأنه كان من الرجاز أخذ عنهم علماء اللغة، ومن أهم كتب اللغة التي استشهدت بشيء من شعره التكملة والذيل والصلة للصغّاني، ولسان العرب لابن منظور، وتاج العروس للزبيدي.

أمّا كتب التاريخ فهي أقل المصادر رواية لشعر أبي الخطاب؛ إذْ لم يروِ له إلاّ السيوطي بيتين في كتابه تاريخ الخلفاء.

وأمّا مؤلفو كتب الأدب وما يلحق بها، فلم يجتذبهم شعر أبي الخطاب البهدلي كثيراً، ومعلوم أنّ معظم كتب الأدب القديمة كانت تهدف إلى الجمع بين التعليم والتثقيف من جهة، والتسلية من جهة اخرى؛ ومن أجل هذا كثر فيها التنويع والاستطراد والتنقل من موضوع إلى آخر، ومن باب إلى غيره، ومن ثم لم يكن لشعر أبي الخطاب فيها نصيب كبير؛ إذْ لم يقبل عليه مؤلفوها كثيراً.

---

[1] الفهرست ص188 وص181،

أمّا ما نلاحظه من قلة اهتمام بعض المؤلفين بنسبة الشعر إلى قائله، والاكتفاء بروايته غير منسوب إلى قائل بعينه، فليست ظاهرة مقصورة على شعر أبي الخطاب، ذلك أنّ الشعر عندهم يُروى للاستدلال والاحتجاج؛ ولذلك لا يعتني مؤلفو هذه الكتب بنسبة الشعر إلى شاعر بذاته، بقدر عنايتهم بأن يكون هذا الشعر قد قيل في عصرٍ يصح الاحتجاج والاستشهاد بشعره.

منهج التحقيق:

يشمل تحقيق النص ما يلي:

آ- ضبط النص.

ب- تخريج النص في المصادر المختلفة.

جـ- التعريف بالأعلام.

د- إثبات الروايات.

هـ- شرح ما يحتاج منه إلى شرح.

و- ترتيب القصائد.

آ- ضبط النص:

عُنيت بضبط النص ضبطاً دقيقاً، مستعيناً بضبط كتب اللغة والمعاجم والاختيار، مرقماً أبيات القصيدة الواحدة، جاعلاً كل شطر من أراجيزه بيتاً.

ب- تخريج النص في المصادر المختلفة:

يقوم المنهج في تخريج القصائد على ابراد -عقب كل قيدة أو مقطوعة أو أرجوزة- المصادر التي رَوَت الأبيات كلها، أو بعضها، مجموعة، أو متفرقة، وذكر أرقام الأبيات الواردة في كل مصدر، وتسجيل المصدر اللذي تُعتمد روايته للأبيات أساساً لعرض الروايات المختلفة عليه، في بداية التخرج، وتقديمه على المصادر الأخرى، ومراعاة الترتيب التاريخي لوفاة أصحاب المصادر التي تروي أبيات القصيدة كلها أو بعضها، وتدوين اسم المصدر ونؤلفه، ورقم الجزء والصفحة، وإرجاء تفصيلات المصدر وصاحبه إلى قائمة المصادر في نهاية البحث، والاقيصار على ذكر بعض المصادر دون أسماء مؤلفيها لشهرة المؤلِّف والمؤلَّف، كطبقات الشعراء، والأغاني، والبيان والتبيين.

جـ- التعريف بالأعلام:

ورد في تقديم بعض القصائد والأراجيز، أو في أبياتها أو في تخريجها أسماء بعض الأعلام من القادة، والولاة، والأمراء، والوزراء، والشعراء، وغيرهم، فعرفتها بايجاز، و ذكرت بعض المصادر دراستها.

د- اختلاف الروايات:

عُنيت بإثبات الروايات المختلفة للنّصّ في كل بيت من أبياته، مشيراً إلى مصادرها، وذاكراً الفروق التي بينها.

هـ- الشروح:

شرحتُ من النص ما احتاج بيان غرض الشاعر منه، أو تفسير رواياته إلى شرح، وقد أوردت ما وجدته في مختلف الكتب العربية من تعلقات على شعر هذا الشاعر أو ما يوضح غرضه، وذكرت المصادر التي استقيت منها هذه الشروح.

و- ترتيب النصوص:

قمت بترتيب القصائد والمقطعات والأراجيز ترتيباً هجائياً حسب حرف الروي، وأعطيت كل قصيدة أو مقطعة أو أرجوزة رقماً في بداية كل قصيدة، وذكرت بعد ذلك بحرها.

شعره:

(1)

قال:

1- *قُلْتُ لرجلي ومِيَ عَرْجَاءُ الخُطَا* — 2- *تَشْكُو إليَّ وَجَعَاً مِنَ النَّسَا*

3- *أوْ مَنْ أذى الرِّيحِ ففي الرِّيحِ الأذَى* — 4- *مُوتِي وَهَنْيهاتَكِ من أخْذِ العَصَا*

5- *وَمِنْ تَرَجِّيكَ الذي لا يُرْتَجَى* — 6- *أتَفْضَحِينِي بَيْنَ حُورٍ كالمَهَا*

7- *أوَانِسٍ مِثْلِ تصاوِيرِ الدُّمَى* — 8- *كم بينَ قول الغانيات: يا فَتَى*

9- *وقَوْلِهِنَّ: شَابَ هذا وانْحَنَى* — 10- *أشُدُّه مِنْهُنَّ كَيْمَا لا يُرَى*

11- *جَبِينَ وَجْهٍ وَجَبِينَاً في القَفَا* — 12- *وإنْ بَدَا رَمَيْنَ رَأسِي بالحَصَا*

التخريج:

أبيات الأرجوزة كلها في الورقة ص64، وفي طبقات الشعراء ص135، مع اختلاف في الترتيب، إذ جاء الخامس سادساً، والسادس خامساً، والثامن سابعاً، والتاسع ثامناً، والعاشر حادي عشر، والحادي عشر عاشراً.

الروايات والشروح:

1. في طبعات الشعراء: وهي عوجاء.
2. النَّسا: عرق من الورك إلى الكعب.
3. في طبقات الشعراء: ومن أذى العرق وفي العرق أذى.
4. في طبقات الشعراء: مُرّي بدلاً من موتي.
5. في طبقات الشعراء: وفي تسمّيك.
6. في طبقات الشعراء: لاتطمعَنّ في الذي لا يُشْتَهى.
7. في طبقات الشعراء: وقد نظرن اليوم من قبح الجلا.

والجلا: انحسار شعر مقدم الرأس.

10.في طبقات الشعراء: أسرُه منهن.

12.في طبقات الشعراء: ولو بدا.

(2)

وقال:

(من التقارب)

1- وَقَدْ أغتدي قَبلَ ضوءِ الصباحِ وقبلَ وُرودِ الغَطَاطِ الحِثاثِ

2- بصافي الثّلاث قصيرِ الثّلاث طويلِ الثّلاث عريضِ الثّلاث

3- مُحَجَّلُ رِجْلَيْنِ، طلقُ اليَدَيْنِ لهُ غُرَّةٌ مِثْلُ ضَوْءِ الإراث

4- إذا احتَرثَ القومُ ما عَدَّهم فإنَّ الجيادَ تكونُ احتراثي

التخريج:

الأبيات في طبقات الشعراء ص134، والبيتان 1،2 في نهاية الأرب ج2 ص5 غير منسوبين لأحد وج10 ص20 منسوبات لبعض الشعراء، والبيت الثالث في التكملة والذيل والصلة ج1 ص349 منسوب لشاعر غير معروف، ولسان العرب ج2 ص111 مادة أرث غير منسوب.

الروايات والشروح:

1- في نهاية الأرب: الشطر الثاني " وورد القَطَا في الغَطَاطِ الحِثاثِ"

والغطاط: ضرب من القطا، الواحدة غطاطة.

2- في نهاية الأرب:

بصافي الثلاث عريض الثلاث قصير الثلاث طويل الثلاث

جاء في نهاية الأرب ج10 ص20 "أنّ العلامات الجامعة لنجابة الفرس الدالة على جودة ما ذكره أيوب بن القريّة وقد سأله الحجاج عن صفة الجواد من الخيل، فقال: القصير الثلاث، الرَّحْبُ الثلاث، الصافي الثلاث، فقال: صِفْهُنّ، فقال: أمّا الثلاث الطوال؛ فالأذن والعُنُق والذّراع، وأمّا الثلاث القصار؛ فالظهر والساق والعسيب، والثلاث الرحبة فالجبهة والمنخر والجوف، وأمّا الثالث الصافية فالأديم والعينان والحافر.

3- في التكملة والذيل والصلة: الشطر الأول: قصير الثلاث طويل الثلاث.

الإراث: النار (انظر: تاج العروس 127/5 مادة أرث).

(3)

وقال في مدح الفضل بن يحيى بن خالد:

(من السريع)

1- تَشَـــاغَلَ النَّـــاسُ ببنيـــاهمْ والفَضْـــلُ فـــي بنـــا العُـــلاَ جامِـــدُ

2- كـــل ذوي الـــرأي وأهـــل النُّهـــى للفضـــلِ فـــي تَـــدْبير حامـــدُ

التخريج:

البيتان في طبقات الشعراء ص135، والأغاني ج11 ص268 منسوبان لأبي النضير.

الأعلام:

- الفضل بن يحيى بن خالد: هو الفض ين يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد، وأخوه في الرضـــاع، كـــان من أجود الناس، استوزره الرشيد مدة قصيرة، ثم ولاّهُ خراسان سنة 178هـــ، وأقام إلـــى أن فتـــك الرشـــيد بالبرامكة سنة 187هـــ وكان الفضل ببغداد، فقبض عليه وعلى أبيه يحيى، وأخذها معه إلى الرقّة، فحبسهما، ونوفي الفضل غفي شجنه بالرقة سنة 1939هـــ. انظر: وفيات الأعيان جب1 ص408؛ والكامل في التـــاريخ لابن الأثير ج10 ص62؛ وتاريخ بغداد ج12 ص334.

- أبو النضير: عمر بن عبد الملك، مولى لبني جُمح، شاعر من شعراء البصرة، عاش فـــي القـــرن الثـــاني الهجري، وهو من المجان الخلعاء، صاحَبَ ابان اللاحقي ثم هجاه. وانقطع إلى البرامكة إلى أن مات. انظـــر: الأغني ج11 ص267.

الروايات والشروح:

2- في الأغاني: الشطر الأول: كل ذوي الفضل....

(4)

أورد ابن المعتز في كتابه طبقات الشعراء أنّ موسى الهادي كان لا يأذن لأحد من الشعراء مدة أيام خلافته، ولا يرغب في الشعر، ولا يلتفت إليه، وقد انهمك في الشرب والقصف، وكان مشغوفاً بالسماع، فلمـــا قال أبو الخطاب البهدلي رائيته، أوصلها إليه، فلما سمعها، أعجب بها إعجاباً شديداً، وقال للحاجب: اخرج إلى الباب، فمُرْ مَنْ ينادي: أين نسابةُ الأسد؟ ففعل، فلما سمع أبو الخطاب، علم أنّ شعره قد وصل وعمل عملـــه، والشعراء مجتمعون، فقال: هأنذا. وأخذ الحاجبُ بيده، وأدخله البيت. فقال: هاتِ أنشـــدنا، فأنشـــده قصـــيدته الرائية، فاستحسنها موسى وأعجب بها، وأمر في ذلك اليوم ألاّ يُحجب عنه شاعر، وأنْ يُعلّمُوا أن أبا الخطاب كان السبب في ذلك. وأمر لأبي الخطاب بألف دينار، وكساه، وحمله، والقصيدة هي هذه:

1- مـــاذا يهيجـــك مـــن دار بمحنيـــة كـــالبُرْدِ غيَّـــر منهـــا الجِـــدَّةَ العُصُـــرُ

2- عَفَـــتْ معارفُهـــا ريـــحٌ تُنَسِّـــفُهَا حتّـــى كـــأنَّ بقايـــا رَســـمِها سُـــطُرُ

3- أزرى بجـــنّتها بَغْـــدي وغيّرهـــا هُـــوجُ الرِّيـــاح التـــي تغـــدو وتبتكـــرُ

4- دارٌ لواضـــحة الخَـــدّيْن ناعمـــة غرثـــى الوشـــاح لهـــا فـــي دَلِّهـــا خَفَـــرُ

5- كأنّهـــا أغلـــى التجّـــارُ بهـــا مكنونـــةٌ، ربحـــوا فيهـــا ومـــا خســـروا

6- قل للخليفة موسى: إنّ نائله ... جزلٌ هنيٌّ وما في سَيبه كدرُ

7- متوّجٌ بالهُدى، بالحمدِ ملتحفٌ ... مسربلٌ بالنّدى، بالمجدِ متّزرُ

8- موسى الذي بذل المعروف يُنهبه ... في النّاس، فالجودُ من كفّيه ينهمرُ

9- أشمّ تُنمِيه آباءٌ جحاجحةٌ ... شمُّ الأنوف، على ما نابهم صَبَرُوا

10- لن يؤمنَ الناسُ مَنْ لم يؤمنوا أبداً ... والله يُؤْمِنُ مَنْ آوَوْا ومَنْ نَصَرُوا

11- لا يكسرُ النّاسُ ما شادوا جبائرَه ... وليس يُجْبَرُ طولَ الدّهرِ مَنْ كسرُوا

12- أنتَ الدعامةُ يا موسى إذا احتدمتْ ... نيرانُها وحماةُ الحربِ تَجْتَزِرُ

13- وإنْ غَضِبْتَ فَمَا في النّاسِ مِنْ بَشَرٍ ... إلاّ على خطرٍ ما مثلُه خَطَرُ

14- ما مُخْدِرٌ مُسْتَأسِدٌ شاسٌ ... ضُبارِمٌ خادرٌ نو صولةٍ زَئِرُ

15- غَضَنْفَرٌ غَضِفٌ قَرْضابَةٌ ثَقِفٌ ... مُسْتَرعِبٌ لقلوبِ النّاسِ مُضْطبِرُ

16- نو برثنٍ شرِثٍ ضخمٍ مُزوَرِّه ... خَبَعْثَنُ الخَلْقِ في أخلاقِه زَعَرُ

17- جَأبُ الشراسيفِ رَحْبُ الجوفِ عندَ التجاول للأقرانِ مهتصرُ

18- غَضَنْفَرٌ أهرت الشدقين ذو حَنَقٍ ... لِلْقِرْنِ عندَ لقا الأقرانِ مُقْتَسِرُ

19- جهمُ المحيّا هَمُوسٌ لا ينهنهه ... صوتُ الرجالِ ولا للزجرِ ينزجرُ

20- في خطمه خَنَسٌ، في أنفه فطسٌ ... كأنّما وجهه من هضبةٍ، حجرُ

21- نوالةٌ فَيْسَرِيٌّ حين تبرزه ... غشمشميٌّ فلا يبقي ولا يذرُ

22- يبالغ عَشْرَ عُشْرٍ من شجاعته ... إذا تنازلتِ البطالُ واشتجَرُوا

23- بل أنتَ أجْرَأُ منه في تقدُّمِه ... وأنتَ أقدَمُ منه حينَ يَجْتَئِرُ

24- بل لو بلاقيك أضحَى اللّيثُ من فَرَقٍ ... وخيفةٍ منك لاقى يَوْمَه القَدَرُ

25- يا خيرَ مَنْ عَقَدَتْ كفّاهُ حُجْزَتَهُ ... وخيرَ مَنْ قَلّدَتْهُ أمْرَهَا مُضَرُ

26- إلاّ النبيَّ رسولَ الله؛ إنّ لَه ... فضلاً وأنت بذاك الفضل تفتخرُ

التخريج:

الأبيات كلها في طبقات الشعراء ص132 وما بعدها، والبيتان 25، 26 في جمع الجواهر للحصري ص5، والعمدة ج1 ص190، وبدائع البدائه لابن ظافر الأزدي ص288، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص282.

الروايات والشروح:

4- عرثى الوشاح: خميضة البطن، دقيقة الخصر، أي أن خصرها دقيق فلا يملأ الوشاح. والـدّل: الشـكل. والخفر: شدة الحياء.

9- الأشم: مَنْ يرفع رأسه معتزاً. وجحاجحة: مفردها جحجاح والسيد السمح الكريم.

14- يقال للأسد مخدر وخادر، أي مقيم في خدره، وهو عرينه. والضبارم: الأسد.

15- غضف: مسترخي الأذن. والقرضابة: القطاع. وثقف: خفيف

16- شرت: محدد الأنياب. خبعثن: عظيم. زعر: شراسة.

17- جأب: غليظ. الشراسيف: أطراف الأضلاع.

18- عفرنس: غليظ العنق. اهرت: واسع.

20- الخطم: الأنف.

21- ذوالة: متبختر. والقيسري: الأسد. وغشمشي: جرئ ماضٍ لا يثنيه شيء عمّا يريد.

25- في بدائع البدائه: عَقَلْتْ بدلاً من عقدت.

الحجزة: موضع شج الإزار من الوسط، والرجل شديد الحجزة: صبور على الشدة والجهد.

26- الشطر الثاني في جمع الجواهر والعمدة وبدائع البدائه:

فخراً وأنت بذاك الفخر تفتخر.

(5)

وقال:

(من الرجز)

1- *قل للّيالي: ما أرَنْتِ فاصْنَعِي* — 2- *إنَّ الّـذي أبْلَيْتِـه لـم يَرْجِـعِ*

3- *مِـنَ الشّـبابِ فأجِـدّي أو دَعِـي* — 4- *وأنتِ قَـدْ أوْدَعْـتِ شَـرَّ مَـوْدَعِ*

5- *تَقَـرَّحَ فـي بَـدَنِي وأضْـلُعِي* — 6- *وَضعْفُ صُلْبِي واشْـتِكاءُ أخْـدَعي*

7- *بِوَجَـعٍ نَظيـرُه لـم أنْجَـعِ* — 8- *ما فيَّ يـا عـاذِلُ مَـنْ مُسْـتَمْتَعِ*

9- *أنْحَلَنِـي كـرُّ اللّيـالي الرُّجَّـعِ* — 10- *تسـعين قَـد وَصَـلْتُها بـأرْبَعِ*

11- *وَيْحَكِ كُفّي عن مَلامِـي وارْبَعِـي* — 12- *وَحَقِّ مـا ألْقِـي إليـك فاسْـمَعِي*

13- *إنّي لو عُمِّـرتُ عُمْـرَ الأصْـمَعِي* — 14- *وَعُمْـرَ لقمـانَ وعُمْـرَ تُبَّـعِ*

15- *ونَسْـرَ لُقْمـانَ الهِجَـفِّ الأقْـرَعِ* — 16- *ما كانَ بُدّ مِـنَ تَبَـوّي مَضْـجَعِي*

17- *في عَرْضِ شبرينِ وخَمْسـين أذْرُعِ* — 18- *في مَضْـجَعٍ سـاكِنُه لـم يَهْجَـعِ*

التخريج:

أبيات الأرجوزة في الورقة ص64 وما بعدها.

الإعلام:

- الأصمعي: أبو سعيد عبد الملك بن قريب، ولد سنة 122هـ، وتوفي سنة 216هـ، نشأ وتعلّم في البصرة على الخليل بن أحمد، وأبي عمرو بن العلاء، كان راوية لأنساب العرب، وأيامها وأخبارها، وأشعارها، وأرجازها. عهد إليه الرشيد بتعليم ابنه الأمين، وله مؤلفات كثيرة، منها: كتاب خلق الإنسان، وخلق الإبل، وكتاب الخيل، وكتاب الأضداد، والمجموعة الشعرية "الأصمعيات". انظر: أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص58، وإنباه الرواة للقفطي ج2 ص197، ووفيات الأعيان ج1 ص288، والوافي بالوفيات ج6 مجلد 2 ص354، وغيرها.

- لقمان: يعود إلى قبيلة من قبائل عاد، ورد ذكره في القرآن الكريم في السورة المسماة باسمه، وفي الشعر الجاهلي، والقصص، وقد ضُرِبَ به المثل بطول العمر، فَعُدَّ في طليعة المعمرين، وكان عرب الجاهلية يعرفون قصص لقمان، وكانوا يصفونه بالحكمة، وعُرِفَ بلقمان الحكيم. انظر: المفصل ففي تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ج1 ص314.

- تُبَّع: التبابعة عددهم كثير أشهرهم تبع الحميري، وآخرهم تبع بن حسان، ولعل المقصود هنا تبع الحميري، وهو حسان بن أسعد أبي كرب الحميري، من أعاظم تبابعة اليمن في الجاهلية، ولعله أكثرهم غارات، وأظفرهم كتائب، سار بجيشه حتى انتهى إلى سمرقند غازياً، وقد بلاد الشام، وامتلك دمشق، وقاوم الوثنية، وكسا الكعبة، ولعله عاش في القرن الرابع قبل الميلاد. يقول ابن حزم في جمهرته: "وفي أنسابهم (يعني التبابعة) اختلاف وتخطيط، وتقديم وتأخير، ونقصان وزيادة، ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم إلاّ طرف يسير؛ لاضطراب روايتهم، وبُعْد العهد". انظر: جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص439، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ج3 ص325، والأعلام للزركلي ج2 ص175.

الشروح:

15- نَسْر لقمان: ذكر عن لقمان أنه طلب من الله ان يُعمَّر طويلاً، فأعطاه طلبه، وعمّر عمر سبعة أنسر، وذكر الإخباريون أن آخر نسر أدركه وهلك بهلاكه اسمه "لبد" وقد أكثرت العرب في صفة طول عمر النسر، وضربت به الأمثال، ولُبَيد، وعرف لقمان عند أهل الأخبار بلقمان النسور. انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ج1 ص 315.

والهجَف: الطويل الضخم.

(6)

أهدى رجلٌ من أهل البصرة إلى أبي الخطاب البهدليّ خروفاً مهزولاً، فقال أبو الخطاب:

(من الرجز)

1- *أهدى إلينا معمّر خَرُوفا* 2- *كان زماناً عنده مكْتُوفا*

3- *يعلفه الكشيث والسّفوفا* 4- *والفارقون بَعْده مَدُوفا*

5- *حتى إذا ما صار مُستَجيفا* 6- *أهدى فأهدى قَصَباً مَلْفوفا*

7- *جُلّل جلداً فوقه وصُوفا* 8- *وكان مَن فعله مَوْصُوفا*

التخريج:

أبيات الأرجوزة كلها في الورقة ص64، والتحف والهدايا ص128، والأبيات 1،2،5،6 في الفهرست ص52، وإنباه الرواة للقفطي ج4 ص119.

الروايات والشروح:

3- في التحف والهدايا: الكُستَجُ بدلاً من الكشيح. والغارقون بدلاً من الفارقون.

- الكشيح: لم أجد معنى لها في معاجم اللغة. والكُستج (بضم الكاف وفتح التاء، وهي رواية التحف والهدايا): كالحزمة من الليف، معرب، (انظر تاج العروس، مادة كستج ج6 ص174). والفارقون: من الفَرْق، وهو نبت الكتان. والمدوف: المخلوط أو المسحوق، يقال: دافه في الماء فهو مدوف.

5- مستجيف: متسع الجوف.

7- في التحف والهدايا: عظماً وجلداً، بدلاً من، جَلِّ جلداً.

(7)

وقال في باب الهزل معرّضاً بامرأة لعلها زوجته، ويصف حاله:

(من الرجز)

1- ضَجَّتْ وَلَجَّتْ في العِتَابِ والعَذَلْ
2- صَخّابَةٌ ذاتُ لِسَانٍ وَجَدَلْ
3- لو صَخِبَتْ شهرين دأباً لم تَبَلْ
4- وَجَعَلَتْ تُكْثِرُ قَولَ العَلَلْ
5- حُبُّكِ لِلْبَاطِلِ قِدْماً قد شَغَلْ
6- كَسْبَكِ عن عيالنا قُلْتُ أَجَلْ
7- تَبَرُّماً مِنِّي وَعَيّاً بالحِيَلْ
8- وَيْحَكِ قَدْ ضَعُفْتُ عن ذاكَ العَمَلْ
9- ونَكَّسَ الشيخُ قفاه وسَفَلْ
10- وَضَعُفَتْ قوتُه فقد ذَبُلْ
11- والناسُ قد قالوا عليك بالبَصَلْ
12- وجِرِّزاً نيئاً وهِلْيُوناً فَكُلْ
13- والبيضُ تحسوهُ وبالبيض المثلْ
14- واقْلِ العَصَافِيرَ بِزَيتٍ لا بِخَلْ
15- وَالحبَّةَ الخَضْرَاءَ كُلْهَا بالعَسَلْ
16- والجوزَ والخَشْخَاشَ عَنْهُ لا تَسَلْ
17- واشْرَزْ نَبِيذَ الصَّرْفَانِ لا الدَّقَلْ
18- فَقُلْتُ عَزْمٌ عاجِلٌ فَهَلْ عَمَلْ
19- تَرْضَى به ذاتُ الخِضَابِ والحَلَلْ
20- قالوا: عسى، قُلْتُ: عسى في استِ
21- مَالِي وضَرْبَ القَلْعِيِّ ذي الخَلَلْ
22- على دَوَاءٍ دَغَلٍ من الدَّغَلْ
23 قَدْ صِرْتُ أَخْشَى أَجَلِي قَبْلَ الأَجَلْ
24- ومات أَخْدَانِي الأُلَى كنتُ أَصِلْ
25- وصرتُ كالنَّسرِ الذي قيل انتَقَلْ
26- فقال أَفْتَى لُبَداً حتى حَجَلْ
27- وامَّارَ عنه ريشُه فقد نَسَلْ
28- لم يُطِقِ النَّسرُ الدهارير الأُوَلْ

29- أمـا تَـرَيْنَ البهـدلي قـد نَحَـلْ 30- وصارَ يمشي مِشْـيَةً فيهـا خَطَـلْ

31- على ثـلاثٍ أرْجُـلٍ فيهـا عَصَـلْ 32- واحـدةٌ فـي كفّـهِ مـن الأسَـلْ

33- كسرْطان البحرِ يمشي في الوَحَـلْ

التخريج:

أبيات الأرجوزة كلها في مجالس ثعلب ص162 وما بعدها. ولأبيات 3،4،5،6،7 في البيان والتبيين ج1 ص6 غير منسوبة لأحد، والبيتان 1،2 في الورقة ص66.

الروايات والشروح:

1- في الورقة: قالت ولَجَّتْ...

- لجَّ في الأمر: ألحَّ عله.

2- في الورقة: بَصْرِيّة ذاتُ مِرَاءٍ وجَدَلْ.

3- في البيان والتبيين: ... لم تُمَلْ.

4- في البيان والتبيين ... من قَوْلٍ وبَلْ.

7- في البيان والتبيين: تَضَجُّراً مني...

12- الهليون: مفرده هليونه، نبات معروف تؤكل سوقه.

17- الصَّرَفان: ضرب من أجود التمر وأوزنه، واحدته صَرَفانة (لسان العرب مادة صـرف ج9 ص193)، الدَّقَل: أردأ التمر.

21- القَلَعيّ: السيف، ولعله من السيوف القَلَعيَّة إذ تنسب هذه السيوف إلى موضع بالبادية العربية يقـال لـه مَرْجُ القَلَعَة (تاج العروس مادة قلع ج22 ص65).

22- دَغَل: عَيْبٌ في الأمر يفسده.

27- امّار: نتف، ثار وتحرك.

30- خطل: خطل في مشيه إذا تلوى واضطراب وتبختر.

31- عصل: من عصل العود عوّجه.

32- الأسل: نبات ذو أغصان كثيرة شائكة الطراف ينبت في الماء وفي الأرض الرطبة، وتصنع من الحصر والحبال والرماح، ونحو ذلك.

(8)

وقال:

(من البسيط)

1- الجـودُ طَبْـعٌ مـا يَسْـطِيعُهُ أحـدٌ إلاّ أمْـرُؤٌ والِـدَاهُ: الـدِّينُ والكَـرَمُ

التخريج:

البيت في الورقة ص64.

(9)

وقال في الحسن بن سهل:

(من الرجز)

1- قَمَعْـــتَ كـــل ناكـــثٍ مَفْتـــونِ 2- بالصُّـــنْعِ لمّـــا صِـــرْتَ كـــالبَنَين

3- جَمْـــعَ علـــيٍّ لِعِـــدَا صِـــفّينِ

التخريج:

الابيات في الورقة ص66.

الاعلام:

- الحسن بن سهل: هو الحسن بن عبد الله السرخسي أبو محمد. وزير المأمون، وأحد كبار القادة والولاة فـي عصره، اشتهر بالذكاء والادب والفصاحة، وحسن التوقيعات، والكرم، وهو والد بوران زوجة المأمون، توفي في سرخس ببلاد خراسان سنة236هـ. انظر: وفيات الاعيان ج1 ص141، وتـاريخ بغـداد ج1 ص319، والاعلام ج1 ص192.

الخاتمة:

انتهى هذا البحث إلى أن الشاعر أبا الخطاب البهدلي شاعر يمثل ظاهرة فنيّة طريفـة، تقـوم علـى المزاوجة بين القديم والجديد؛ إذ نراه يمدح ويتغزل ويصف الخيل على منهج القدماء، ونراه في الوقت نفسـه يطوّع الرجز ليستوعب موضوعات الشعر المتعددة من مدح ودعابة وبكاءٍ للشباب، وغير ذلك، وتظهر فـي شعره الجزالة والعذوبة، والفخامة والرّقة، والوعورة والسهولة لتشكلا معاً نسيجاً واحداً.

وأضاف هذا البحث إلى الدراسات الأدبيّة دراسة عن أبي الخطاب البهدلي وشعره، وهو من الشعراء المغمورين في العصر العبّاسي؛ تَتَبَّعَتْ مراحل حياته وَتَعَرَّفَتْ على مقومات شخصيته، وجَمَعَتْ شعره وَحَقَّقَتْه وناقَشَتْ موضوعاتِه وخصائصَه الفنيّة.

مصادر البحث ومراجعه الأساسية:

1- د. إبراهيم أنيس (معاصر): موسيقى الشعر العربي، ط3، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرية، 1965م.

2- إبراهيم النجار (معاصر): مجمع الذاكرة، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة التونسية، 1989م.

3- الأصفهاني (أبو القرج علي بن الحسين ت 356هـ/966م): الأغاني، دار الثقافة، بيروت 1983م.

4- ثعلب (أبو العباس احمد بن يحيى ت 291هـ/903م): مجالس ثعلب (أمالي ثعلب)، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر 1960م.

5- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت 255هـ/868م): البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت [بدون تاريخ].

6- ابن الجراح (أبو عبد الله محمد بن داود ت 296هـ/908م): الورقة، تحقيق د. عبد الوهاب عزام وآخر، ط2، دار المعارف، مصر [بدون تاريخ].

7- جواد علي (معاصر): الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، دار العلم للملايين، بيروت 1976م.

8- ابن حزم الأندلسي (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ت 456هـ/1063م): جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، ط دار المعارف، مصر، 1962م.

9- الحصري (أبو اسحق إبراهيم بن علي القيرواني ت 453هـ/1061م): جمع الجواهر في الملح والنوادر، تحقيق علي محمد البجاوي، ط2، دار الجيل، بيروت، 1987م.

10- الخالديان (أبو بكر محمد بن هاشم ت 380هـ/990م، وأبو عثمان سعيد بن هاشم ت في حدود 400هـ/1009م): التحف والهدايا، تحقيق سامي الدهان، دار المعارف، مصر، 1956م.

11- ابن رشيق القيرواني (أبو علي الحسن ت 456هـ/1063م): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط2، مطبعة السعادة، مصر 1955م.

12- الزركلي (خير الدين ت 1976م): الأعلام، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1989م.

13- السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت 911هـ/1505م): تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط2، مطبعة السعادة، مصر، 1959م.

14- د. شوقي ضيف (معاصر): الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ط5، دار المعارف بمصر، 1965م.

15- الصغاني (الحسن بن محمد بن الحسن ت 650هـ/1252م): التكملة والذيل والصلة، تحقيق عبد العليم الطحاوي وآخر، دار الكتب المصرية، مصر، 1970م.

16- ابن ظافر الأزدي (علي بن ظافر ت 613هـ/ب1216م): بدائع البدائه، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1970م.

17- ابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد ت 328هـ/939م): العقد الفريد، شرح أحمد أمين وآخرون، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت، 1982م.

18- د. عز الدين اسماعيل (معاصر): في الأدب العبّاسي، دار النهضة العربية، بيروت، 1975م.

19- القفطي (جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ت 624هـ/1227م): إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1986م.

20- ابن المعتز (عبد الله ت 296هـ/908م): طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، ط3، دار المعارف، مصر، 1976م.
21- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم ت 711هـ/1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت [بدون تاريخ].
22- ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق العروف بالورّاق ت 380هـ/990م): الفهرست، تحقيق رضا تجدّد، ط طهران، 1971م.
23- النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت 733هـ/1331م): نهاية كوستا تسوماس، القاهرة، [بدون تاريخ].
24- د. يوسف خليف (معاصر): في الشعر العباسي، نحو منهج جديد، مكتبة غريب، القاهرة، [بدون تاريخ].